أدب الحوار في القرآن الكريم

مها أحمد رأفت عطيه

باحثة دكتوراه قسم الفسفة كلية الآداب

جامعة السويس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد....

فهذا بحث تحت عنوان الحوار في القرآن الكريم ، فإن من أبرز الأساليب الحكمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم في عامة الأدلة على وحدانية الله تعالى، وصدق رسله عليهم السلام فيما يبلغون عن ربهم عز وجل هو اسلوب الحوار من أجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي ، وارتياح نفسى ، يجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتا لا ينازعه ريب ، ولا يخالطه شك ، ومن خلال هذا البحث سنرى كيف استعمل القرآن الكريم في أمر الدعوة إلى الله تعالى أحكم الاساليب ، وأقوى الأدلة من اجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلى ، وارتياح نفسى ، يجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتا لا ينازعه ريب ، ولا يخالطه شك ، واتخذت نموذجاً لذلك وهو حوار نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه .

أولاً: مفهوم الحوار فى اللغة والاصطلاح :

الحوار مأخوذ من الحور وهو الرجوع عن الشىء وإلى الشىء، والحور : النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال ، والحور :أن يشتد بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها (1).
وحاوره محاورة وحواراً: جاوبه وجادله ، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم وتجادلوا ، والحوار : ولد الناقة ساعة تضعه **(2).**

والحوار فى الاصطلاح :

نوع من الحديث بين شخصين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما ، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ، ويغل بعليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب**(3).**

وقد ورد الحوار فى القرآن الكري بالمعنى المشار إليه أعلاه فى ثلاثة مواضع :-

الأول:- فى قوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾**(4).**

الثانى : قوله تعالى: (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) **(5).**

(1) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر – بيروت – ج4- مادة حور ص217،219.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، دار إحياء التراث، ص204.

(3) محمد راشد ، فنون الحوار والإقناع ، دار ابن حزم ، ط1، 1420هـ، 1999م، ص11.

(4) سورة الكهف ، آية 37.

(5) سورة الكهف ، آية 34.

الثالث: قوله تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) **(1).**

وقيل هو : مناقشة بين طرفين أو أطراف بقصد تصحيح الكلام ،وإظهار حجة ، وإثبات حق ، ودفع شبهة ، ورد الفاسد من القول والرأى **(2).**

وقدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار منها ما دار بين الله عز وجل وملائكته فى موضوع خلق آدم عليه السلام **(3).**

ومنها ما دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبراهيم عليه السلام عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى **(4).**

وما دار بين موسى عليه السلام حين طلب من ربه أن يسمح له برؤيته (5)، وبين عيسى عليه السلام حين سأله ربه عما إذا كان طلب من من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله (6)، ومنها الحوار الذى دار دار فى قصة أصحاب الجنتين فى سورة الكهف (7).

وما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام حين هم أن يذبح ابنه (8)، وفى وفى قصة قارون مع قومه (9)،وفى قصة داود عليه السلام مع الخصمين

---

(1) سورة المجادلة ،آية1.

(2)ابن حميد ،معالم فى منهج الدعوة ، دار الاندلس، جدة -ط1- 1420هـ، 1999م، ص212.

(3) سورة البقرة ،آية30-32.

(4) سورة البقرة ،آية260.

(5) سورة الأعراف ،آية143.

(6) سورة المائدة، آية 116.

(7) سورة الكهف ، آية32.

(8) سورة الصافات ،آية102.

(9) سورة القصص،آية76.

الخصمين (1)، وفى قصة نوح عليه السلام مع قومه (2)، وفى قصة شعيب عليه السلام مع قومه (3)،وفى قصة ابنى آدم عليه السلام (4)، وفى قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح (5).

والأمثلة على ذلك كثيرة فى الكتاب العزيز وكلها تدل على أهمية الحوار وخطورته ، ولقد استخدم النبى صلى الله عليه وسلم الحوار حينما كان يجيب عن اسئلة جبريل عليه السلام فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالقال: (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء

(1) سورة ص ،آية21،22.

.

(2) سورة الأعراف ،آية59

(3) سورة هود ،آية84.

(4) سورة المائدة27-29 .

(5) سورة الكهف ،آية65.

الشاء يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(1).

ونجد في السنة النبوية المطهرة نماذج كثيرة ومتنوعة للحوار ، ترد في أشكال شتى لتقدم لنا الدروس التي يحسن بنا الانتفاع بها ففي أعقاب غزوة حنين نجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم محاورا ناجحاً ، حين قام بتوزيع الغنائم في قريش وفى قبائل العرب ولم يعط الأنصار منها شيئاً سوى أحدهم فغضب البعض ، فجاء سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذى أصبت ، فقسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شيء ، فقال رسول الله ﷺ فأين انت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي قال: فأجمع لي قومك في هذه الحظيرة فخرج سعد فجمع الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بل الله ورسوله أمن وأفضل ، قال : ألا تجيبونني يا معشر الأنصار قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ، ولله ولرسوله المن والفضل . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتكم وصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم في أنفسكم يا

(1) صحيح مسلم –تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت عدد الأجزاء: 5- باب معرفة الايمان والاسلام والقدر 36/1.

معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا ، تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعون برسول الله في رحالكم ؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا ، وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار قال : فبكى القوم ، حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا(1).

فهذه الواقعة تعطينا دروسا مفيدة وبليغة ينبغى أن نتدبرها ، فالرسول الكريم لم يلم سعداً لأنه لم يرد على الأنصار الذين غضبوا ، ولم يسأل عن الشخص الذى قال، ولكنه سأل سؤالا عاما لجعل الحديث للجميع وليواجه المشكلة من أساسها ، وهكذا نجد أن القرآن العظيم والسنة المطهرة قد حفلت بالشواهد والأمثلة التي تبين معنى الحوار وأهميته .

ثانياً : دور الأمثلة فى المحاورة .

"إن المتحدث الناجح والمحاور الذكي هو الذى يحسن ضرب الامثلة ، ويتخذها إما وسيلة لتقريب وجهة نظره من السامع وشرحها ، وإما لإقناعه بفكرته، والامثلة الجيدة تفيد مع العالم كما تفيد من دونه ، وتؤثر على الكبير كما تؤثر على الصغير (2).

(1) مسند الإمام احمد بن حنبل، : تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر : عالم الكتب - بيروت.-الطبعة: الأولى ، 1419هجرية ، 1998 م- عدد الأجزاء : 8-4/192.
(2) الندوة العالمية للشباب الإسلامي فى أصول الحوار ، دار التوزيع والنشر الإسلامية (1419هـ، 1998م) ص54.

ونظراً لأهمية المثل وخطورته فقد ضرب الله تعالى للناس فى كتابه الكريم من كل مثل قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾ (1)، فالإستعانة بضرب المثل عند القول ، فيه تأييد للحديث ، وتقوية له كالحجة تماما ، ولقد وردت الامثال فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة ، وسلك مسالك شتى فى تصوير الدعوة بما يوصلها إلى العقل البشرى على اختلاف درجاته ، وكان ضرب الأمثال أحد هذه المسالك الهامة التى اتخذها القرآن الكريم وسيلة لتوضيح ما قد يخفى على العقل البشرى ، أو قد يكون بعيداً عن مجال تصوره وإدراكه ، ومن الآيات الكريمة التى يتبين فيها أهمية المثل فى حوار أهل الكفر قوله تعالى : ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (2)، "فهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر ، فإن الكافر يعبد آلهة شتى ، فمثله بعبد يملكه جماعة يتنافسون في خدمته ولا يقدرون أن يلغ رضاهم أجمعين والمؤمن يعبد الله وحده فمثله بعبد لرجل واحد قد علم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاكس الخلطاء فيه"(3).

وحتى تكون الأمثلة التى يضربها المحاور مثمرة ومؤثرة ، لابد أن تتوافر فيها جملة من الشروط وهى:

أولها: صحة التشبيه.

ثانيها : أن يكون العلم بها سابقا، والكل عليها موافق.

ثالثها : أن يسرع وصولها للفهم ، وتكون بعيدة عن الوهم وبعيدة عن التعقيد .

رابعها :- أن تناسب حال الطرف الآخر لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعا (4).

---

(1) سورة الروم ، آية 58.
(2) سورة الزمر، آية 29.
(3) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي – بيروت- الطبعة الثالثة، 1404هـ، عدد الأجزاء: 9- 179/7.
(4) الماوردى ، أدب الدنيا والدين ، تحقيق: مصطفى السقا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط4- (1398هـ- 1978م) ص 276.

فضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار ، والتقرير ، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس (1).

ثالثاً : بين الحوار والجدال :

من الضروري التفرقة بين الحوار والجدال تفريقا واضحاً ، فكان على ان أعرف الجدال فى اللغة وهو : اللدد فى الخصومة والقدرة عليها ، يقال جادله مجادلة وجدالاً أى خاصمه والاسم الجدل وهو شدة الخصومة وقيل الجدل : مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة : المناظرة والمخاصمة (2).

وفى الاصطلاح : فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وقيل الأصل فى الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهى الأرض الصلبة(3).

وأما الحوار كما بينا فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ، ينتقل بينهما ، دون أن يكون بينهما خصومة ، فكلمة (الحوار) أخذت مدلولاً جديداً يوحى بالطريقة التي يتبعها المتناظران ، والجدل تحول إلى صناعة يقصدها الكثيرون لذاتها للتدرب على الاخذ والرد والدفاع والهجوم فى مجالات الصراع الفكري ، وأما كلمة الحوار فهي أوسع مدلولاً من كلمة الجدل باعتبار تضمن الجدل معنى الصراع ، بينما نجد الحوار يتسع له ولغيره .

(1) السيوطى ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1394هـ/ 1974 م- عدد الأجزاء: 4- 45/4.
(2) ابن منظور: لسان العرب ،دار صادر – بيروت- ط3 - 1414 هـ-عدد الأجزاء: 15- بمادة جدل ، ج11- ص105.
(3) الأصفهانى ، المفردات فى غريب القرآن ، مكتبة نزار مصطفى الباز –ط1- 1418هـ - 1997م، ج1-ص117.

فالحوار يتحول إلى جدل مذموم إذا تخلله اللدد فى الخصومة والمعارضة والمنازعة والتمسك بالرأى والتعصب له دون وجه حق ، فالجدل لم يمدح فى القرآن على الإطلاق ، بل جاء مقيداً بالحسنى ، ونستطيع التفريق بين الجدل المذموم وبين الجدل الذى هو الحوار الهادىء ،وإلا فهو مذموم ويمكننا كذلك التفرقة بينهما من خلال الوسيلة ، فإن كانت حسنة فبها ونعمت وإلا كام مذموماً (1).

رابعاً:- نموذج من الحوار في القرآن الكريم .

الحوار بين نبي الله" شعيب "عليه السلام وقومه:

إن موضوع المحاورة بين شعيب عليه السلام وقومه هو الإصلاح ، وهى محاورة تشتمل على العقيد والسلوك فالموضوع متكامل لا يتجزأ ، يقول تعالى : **﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * ويقاوم أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ* قَالُوايا شعيب أصلاتك تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يقاوم أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾**(2)، فنبي الله يحاورهم ويدعوهم لعبادة الله الحق سبحانه فقد جرت سنة الأنبياء أن يبدؤوا بالدعوة إلى التوحيد، لأنه جذر شجرة الإيمان، ثم يتبعونه بالأهم فيما يرون لدى أقوامهم، ومن ثم ثنى بالنهى عن نقص الكيل والميزان،

(1) جريشة ، مناهج الدعوة وأساليبها ، دار الوفاء – ط1 1407هـ، 1986م، ص162.

(2) سورة هود،آية86 - 88.

لأن أهل مدين اعتادوا ذلك، أي ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم كما هي عاداتكم(1).

فنبي الله عليه السلام ينهى قومه أولاً عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين ، ونهاهم عن العث وفى الأرض بالفساد ، فقد كانوا يقطعون الطريق ، وأرشدهم إلى أن ما يبقيه الله لهم من مال حلال خير من أخذ أموال الناس(2).

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي :"بمراقب لكم حين تبيعون وتشترون، ولا بحاسب محصى عليكم ظلمكم فأجازيكم به، وإنما أنا واعظ لكم ناصح ليس غير "(3).

ونرى رد القوم على نبيهم بقولهم ﴿قَالُوا يا شعيب أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ وهو رد واضح التهكم و السخرية فهم يقولون هذا على سبيل الاستهزاء والتنقص والتهكم: أصلاتك هذه التي تصليها، هي الآمرة لك بأن تحجر علينا فلا نعبد إلا إلهك؟ (4).

والاستفهام للإنكار والإستهزاء به وبعبادته - عليه السلام -، والصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر بما تكسبه من مراقبة الله - تعالى -،

---

(1) المراغي ، تفسير المراغي- الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م- عدد الأجزاء: 30، 69/12.

(2) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين- الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت- الطبعة: الأولى - 1419 هـ 295/4.

(3) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية-الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م- عدد الأجزاء: 5- 569/2.

(4) ابن كثير ، قصص الأنبياء، تحقيق :مصطفى عبد الواحد-الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة- الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م- ص272.

ومن نهى نفسه كان جديرا بأن ينهى غيره، يعنون: أهذه الصلاة التي تداوم عليها تقتضي بتأثيرها في نفسك أن تحملنا على ترك ما كان عليه آباؤنا من عبادة هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها تقربا إلى الله بها، أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء - من تنمية واستغلال، وتصرف في الكسب من الناس بما نستطيع من حذق واحتيال، وخديعة، وهو حجر على حريتنا، وتحكم في ذكائنا؟ ردوا بهذا وقالوا بقصد التعريض والتنديد: - إنك لأنت الحليم الرشيد - الحليم: العاقل الكامل في أناته وترويه فلا يتعجل بأمر قبل الثقة من صحته، والرشيد: الراسخ في هدايته وهديه، فلا يأمر إلا بما استبان له من الخير والرشد(1).

وهذه هي ردودهم عبارة عن شتائم وسخرية ن ولجوء الخصم إلى الشتائم في أي مناظرة أو محاورة معناه الهزيمة ، او بداية الشعور بها لأن الحجج والبراهين هي سلاح المحاورة ،وليس الاستهزاء ، وهذا ما فعله محاورو شعيب فكأنهم رأوا الحق واضحا في كلامه وليست لديهم حجة للرد عليه ، فلجأوا إلى الشتائم للنيل منه ، ولستر شعورهم بالعجز والهزيمة (2)

موقف شعيب عليه السلام من ردود قومه :

نلاحظ تلطف النبي شعيب عليه السلام مع قومه ، لأنه على حق ، وأعرض عن سخرية قومه، فلقد دعاهم إلى ما فيه صلاحهم وليس العكس قائلا كما حكى لنا الكتاب العزيز :﴿ **قَالَ ياقوم أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**

(1) محمد رشيد ، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة النشر: 1990 معدد الأجزاء: 12 -119/12.

(2) عبد الحليم حفنى، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط2- 1985م- ص95.

إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ والمعنى: أخبروني إن كنت على بيان وحجة واضحة وبصيرة وهداية من عند ربي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه (ورزقني منه) أي من فضله وخزائن ملكه، ومن عنده وبإعانته بلا كد مني ولا تعب في تحصيله (**رِزْقًا حَسَنًا**) أي كثيراً واسعاً حلالاً طيباً وقد كان عليه السلام كثير المال والنعمة، وقيل أراد بالرزق النبوة وقيل الحكمة وقيل العلم وقيل التوفيق وقيل المعرفة وقيل الهداية(1).

وقوله: " وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ " أي: لست آمركم بالأمر إلا وأنا أول فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه(2).

وذلك أن صاحب المنهج المعوج يأمر الناس أن يفعلوا شيئاً وهو يفعل عكسه ، وما أريد إلا الإصلاح العام فيما آمر به وفيما أنهى عنه ما دمت استطيعه ، لأنه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وليس لي هوى ولا منفعة شخصية خاصة بي فيهما ، ولولا ذلك ما فعلته ، وفيه إثبات لعقله ورويته ورشده وحكمه، وهو إبطال لتهكمهم واستهزائهم بلقب الحليم الرشيد ، والتوفيق في جميع الأحوال من الله ﷻ الذى عليه التوكل في سائر الأمور وإليه المرجع والمصير (3).

ثم ينتقل سيدنا شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إلى تذكير قومه بمصارع السابقين ، ويحذرهم أن يكون مصيرهم كمصير الظالمين من قبلهم، وينتقل إلى نوع من الترهيب فيقول كما حكى الكتاب العزيز :﴿

(1)صديق خان ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت- عام النشر: 1412 هـ - 1992 م- عدد الأجزاء: 15-232/6.

(2)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،280/1.

(3)محمد رشيد ، تفسير المنار، 119/12 بتصرف

وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾(1).

أي: لا يحملنكم مخالفتي وبغضكم ما جئتكم به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم، فيحل الله بكم من العذاب والنكال، نظير ما أحله بنظرائكم وأشباهكم، من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين، **وقوله: " وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ "**، قيل معناه: في الزمان، أي ما بالعهد من قدم، مما قد بلغكم ما أحل بهم على كفرهم وعتوهم، وقيل معناه: وماهم منكم ببعيد في المحلة والمكان، وقيل في الصفات والأفعال المستقبحات، من قطع الطريق، وأخذ أموال الناس جهرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات(2).

ثم يقول نبي الله لهم فاتحاً باب من الأمل في رحمة الله تعالى ، وباباً من النصح والإرشاد ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾(3).

والمعنى: استغفروا ربكم من كل ما فرط منكم من ذنوب، ثم توبوا إليه توبة صادقة يقبل سبحانه وتعالى منكم توبتكم لأنه رحيم بعباده ، كثير المحبة لمن أطاعه، وهكذا نجد شعيباً عليه السلام يلون لقومه النصيحة ، وينوع لهم العظة، ويطوف بهم في مجالات الترغيب والترهيب ، ويحاورهم بشتى الأساليب (4).

نتيجة المحاورة بين شعيب عليه السلام وقومه:-

لقد بلغ قوم شعيب النهاية في الفساد ، فردوا عليه كما حكى القرآن الكريم لنا بقولهم : ﴿**قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا**

(1)سورة هود ، آية 89.

(2)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،281/1.

(3)سورة هود ، آية 90.

(4) محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، دار نهضة مصر – مجلد1- 1417هـ، 1996م، ص162.

ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾(1)، وإنما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق البين على أحسن وجه وأبلغه، وضاقت عليهم الحيل، فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا، سوى الصدود عن منهاج الحق، والسلوك إلى سبيل الشقاء، كما هو ديدن المفحم المحجوج، يقابل البينات بالسب، فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ، وأنواع العلوم والمعارف، من قبيل ما لا يفهم معناه، ولا يدرك فحواه، وأدمجوا في ضمن ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب، ولذلك قالوا:

﴿**وَإِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً**﴾ أي لا قوة لك، فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا ، وقيل :كان ضعيف البصر، وَلَوْلا رَهْطُكَ أي قومك وأنهم على ملتنا لَرَجَمْناكَ أي قتلناك برمي الأحجار، أو شر قتلة وما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزيز أي لا تعز علينا ولا تكرم، حتى نكرمك ونمنعك من الرجم(2)

وبعد هذا كله نجد نبي الله شعيب عليه السلام ينتقل في أسلوب محاورته لقومه من اللين إلى الشدة ، ومن التلطف إلى الإنكار فيقول لهم: ﴿**قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ** ﴾(3).

فنبي الله يذكر قومه هنا بمن هو أقوى منهم قال:﴿ **قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ أي إنكم تخافون من عشيرتي وأهلي وهم أفراد معدودون ولا تخافون من الله تعالى القادر على إهلاككم، واعتقد قومه أنه سيحتمى بقومه بعد كلامهم هذا ولكنه قال :﴿ **عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**﴾، والمعنى: يا قوم، أعززتم قومكم، فكانوا أعزّ عليكم من الله، واستخففتم بربكم،

---

(1)سورة هود ، آية 91.

(2)القاسمي ، محاسن التأويل ، تحقيق: محمد باسل - الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى - 1418 هـ ، 127/6.

(3)سورة هود ، آية92،93.

فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه، ولا تعظِّمونه حق عظَمته؟(1).

ثم يستخدم نبي الله عليه السلام مع قومه التهديد والوعيد فيقول ﴿**وَيَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**﴾ فهذا تهديد ووعيد الواثق بوعد ربه مر تهديد شديد ووعيد أكيد، بأن يستمروا على طريقتهم ومنهجهم وشاكلتهم، فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار، ومن يحل عليه الهلاك والبوار، وقوله " من يأتيه عذاب يخزيه " أي في هذه الحياة الدنيا " ويحل عليه عذاب مقيم " أي في الآخرة " ومن هو كاذب " أي مني ومنكم فيما أخبر وبشر وحذر(2).

هلاك قوم شعيب :-

قال تعالى : ﴿**وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾(3)، والمعنى: ولما جاء أمرنا - بعذابهم الذي أنذروه - نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا - خاصة بهم دون أحد من القوم كما تقدم مثله قريبا - وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين - أي أخذتهم صيحة العذاب التي أخذت ثمود فأصبحوا كلهم ميتين باركين على ركبهم، مكبين على وجوههم في ديارهم

(1)الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة-الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م- عدد الأجزاء: 24-462/15.

(2)ابن كثير قصص الانبياء ، ص284.

(3)سورة هود ، آية94،95.

﴿**كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا** ﴾أي كأنهم لم يقيموا فيها وقتاً من﴿ **أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾ أي هلاكا لهم وبعدا من رحمة الله كبعد الهلاك واللعنة التي عوقبت بها ثمود من قبلهم فإنهما من جنس واحد(1)

وهكذا نرى نبي الله شعيب عليه السلام قد جادل قومه بالتي هي أحسن ، وحاورهم وناقشهم بأسلوب جمع ألوانا من الهدايات ، ووضع كل كلمة قالها في الموضع الذى يناسبها وخاطبهم بأحكم منطق وأبلغ بيان ، ولكنهم قابلوا كل ذلك بالكلام القبيح ، والتطاول والغرور ، والتهديد الساخر ، والوعيد الظاهر ، فكانت عاقبتهم الخسران والبوار (2).

الخاتمة :

يطيب لى بين طيات هذه الخاتمة أن أختم هذا البحث كما بدأته بحمد الله تعالى والاعتراف بفضله وشكره بما أولانى من نعم ، ولما هداني إليه من توفيق، ثم الصلاة على رسوله وآله وصحبه أولوا العلم والهدى ، واستغفره سبحانه عما شاب بحثى من خلل أو زلل ، فالكمال لله وحده، قدر الله وشاء أن أصل إلى أهم النتائج التى أسطرها من خلال النقاط التالية

1-أهمية الحوار باعتباره وسيلة من اهم وسائل الدعوة إلى الله عز وجل ، ويمكن أن يحقق فوائد جمة، إذا امتلك الداعية أدواته وهو يحاور الآخرين.

2- الحوارهو أوسع من الجدال لان الجدال يتضمن معنى الصراع، أما الحوار فيتسع له ولغيره .

3- اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغاً بالحوار، فالقرآن قادر على اقناع الناس جميعا إذا لجأوا إليه.

4- الحوار القرآنى يربى العقل على سعة الأفق، وحب الإطلاع، والاستدلال لمعرفة الحق .

(1)رشيد رضا، تفسير المنار، 123/12.

(2)د/طنطاوي، أدب الحوار فى الإسلام ، ص163.

المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً:

1-صحيح مسلم – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت- عدد الأجزاء: 5.

2-مسند الإمام أحمد بن حنبل، : تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر : عالم الكتب - بيروت.-الطبعة: الأولى ، 1419هجرية ، 1998 م- عدد الأجزاء : 8.

3-إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، دار إحياء التراث،

4-ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي – بيروت- الطبعة الثالثة، 1404هـ، عدد الأجزاء: 9- 179/7.

جريشة ، مناهج الدعوة وأساليبها ، دار الوفاء – ط1 1407هـ، 1986م

5-ابن حميد، معالم فى منهج الدعوة ، دار الاندلس، جدة -ط1- 1420هـ، 1999م.

6-ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين- الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت- الطبعة: الأولى - 1419 هـ.

7- السيوطى ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1394هـ/ 1974 م- عدد الأجزاء: 4- 45/4.

8- قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد-الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة- الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م-

9-أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية-الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م- عدد الأجزاء: 5.

10- الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة-الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م- عدد الأجزاء: 24.

11- عبد الحليم حفنى، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط2- 1985م-

12- صديق خان ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت- عام النشر: 1412 هـ - 1992 م- عدد الأجزاء: 15-

13- القاسمي ، محاسن التأويل ، تحقيق: محمد باسل - الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى - 1418 هـ .

14- المراغي ، تفسير المراغي- الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م- عدد الأجزاء: 30.

15- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر – بيروت .

16- محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، دار نهضة مصر – مجلد1- 1417هـ، 1996م.

17- محمد رشيد ، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة النشر: 1990 م-عدد الأجزاء: 12 .

18- محمد راشد ، فنون الحوار والإقناع ، دار ابن حزم ، ط1، 1420هـ، 1999م.

19- الماوردى ، أدب الدنيا والدين ، تحقيق: مصطفى السقا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط4- (1398هـ- 1978م) ص 276.

20- الندوة العالمية للشباب الإسلامي فى أصول الحوار ، دار التوزيع والنشر الإسلامية (1419هـ، 1998م) ص54.

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
-1	المقدمة	2
-2	مفهوم الحوار فى اللغة	3
-3	مفهوم الحوار فى الاصطلاح	3
-4	دور الأمثلة فى المحاورة	7
-6	بين الحوار والجدل	8
-5	نموذج من الحوار فى القرآن الكريم	9

6	الحوار بين نبى الله شعيب عليه السلام وقومه	9
-7	موقف شعيب عليه السلام من ردود قومه	11
-8	نتيجة المحاورة بين شعيب عليه السلام وقومه	13
-9	هلاك قوم شعيب عليه السلام	15
-10	الخاتمة	16
-11	المراجع	17

ملخص:

هذا البحث بعنوان الحوار فى القرآن الكريم وقد تحدثت فيه عن مفهوم الحوار فى اللغة والاصطلاح ، وبينت أيضا دور ضرب الأمثلة فى المحاورة ، ثم فرقت بين الحوار والجدل ، وقدمت نموذج للحوار من القرآن الكريم وهو لنبى الله شعيب عليه السلام مع قومه .

Summary:

This research is entitled Dialogue in the Noble Qur'an, in which I talked about the concept of dialogue in language and idiom. She also showed the role of setting examples in dialogue, then differentiated between dialogue and controversy, and presented a model for dialogue from the Holy Qur'an which is the prophet of God Shuaib, peace be upon him, with his people.